

الحوار

مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center

دور المرجعية العلمية في مكافحة الغلو

إعداد: د. عماد الدين خيتي

ورقة بحثية قدمت في الندوة الحوارية "نحو مقاربة نموذجية لمواجهة خطاب الغلو والتطرف في السياق السوري من خلال التجارب والدروس المستفادة" وذلك في مدينة استنبول، يوم السبت 22 ربيع الآخرة 1440هـ، الموافق لـ 29/12/2018م

المحتويات

2	توطئة
2	موقف الغلاة من أهل العلم
3	أهمية دور العلماء في مكافحة الغلو
4	من أمثلة جهود أهل العلم في مكافحة الغلومبكرًا
4	لماذا المؤسسات العلمية؟
5	دور المؤسسات الشرعية في مكافحة الغلو
7	أمثلة مكافحة المؤسسات الرسمية للغلو
8	المؤسسات العلمية في الثورة السورية نموذجًا
8	نشأة المجلس الإسلامي السوري
10	الأثر العكسي للمؤسسات التابعة للأنظمة على الغلو والغلاة
11	رؤية لتفعيل وتعزيز المرجعية الشرعية في مكافحة الغلو

توطئة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الله تعالى قد شرع لعباده المسلمين الرجوع لأهل العلم في معرفة أمور دينهم، وإذا أشكل عليهم شيء فيها، قال تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) [النساء: 83]، وقال: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: 43].

إن اتخاذ مرجعيات دينية موثوقة مشهود لها بالأمانة والعلم والتقى والوزع من أهم الأسباب الوقائية في حماية المجتمعات من الغلو والضياع والانحراف؛ فالعلماء هم حملة الدين، وحراس الشرع، وحصنه المنيع، الذين (ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)¹ ولا يتحصّل العلم إلا عن طريقهم، ولا يتوصّل إلى الحق إلا بهم.

أما رفض أقوالهم ومناهجهم والخروج عنها إلى أقوالٍ من لم ترسخ قدمه في العلم، ولم يُعرف بفقهِ ولا علمٍ، فيحصل بذلك الانحراف، وقد حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من اتخاذ الرؤوس الجهال مرجعيات دينية، لأنهم سيكونون سبباً في انهيار المجتمع وضلاله وغرقه، فهم ضالّون عن الحق يظنون أنهم مهتدون، ويضلّون غيرهم من عامّة الناس ممن ينخدعون بكلامهم وفتاواهم، قال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جَهْلًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)².

وفي أوقات الاضطرابات والقلق والفتن تزداد حاجة الناس لأهل العلم، والشباب خاصّة؛ فييبنون لهم مواطن الخطر، ويحذروهم من الفتن، ويردّون على الشبهات التي يببها أهل الزيغ والضلالة، ويدلّونهم إلى الطريق الصحيح والقويم، ويأمرونهم بلزوم جماعة المسلمين وترك التفرّق، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) [النساء: 59].

وقد ورد عن عدد من السلف قولهم: "إِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا كُلُّ عَالِمٍ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ جَاهِلٍ".

موقف الغلاة من أهل العلم³:

يتوجه الغلاة بالتكفير والاستهداف لكافة شرائح المجتمع، لكنهم يخصّون أهل العلم وطلّبه بمقدار أكبر من منها، وما ذلك إلا لأن هؤلاء العلماء قد وقفوا ضد الانحراف الفكري والشذوذات العقدية والفقهيّة والسلوكية التي جاء بها الغلاة، وردّوا عليها بالطرق العلمية، وأوضحوا عوّارها وأخطأها؛ فكانوا -بإذن الله تعالى- الصخرة الصلدة التي تحطمت عليها شبه هؤلاء، وحي

¹ أخرجه البزار في مسنده (247/16)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (17/10)، وغيرهما، وفي ثبوته خلافت.

² أخرجه البخاري (31/1)، ومسلم (2058/4).

³ ينظر: تصور الغلاة لمفهوم الدولة في الإسلام، عماد الدين خيتي.

الله بهم أجيالاً من الشباب، مما أوغر صدور هؤلاء الغلاة عليهم، واعتبروهم أخطر عقبة في سبيل قيام مشروعهم وترسيخ أفكارهم، فكان لهم النصيب الأكبر من حملة الإسقاط والتخوين، بل والتكفير والقتل.

كما عملوا على تزهيد الشباب في طريقة أهل العلم، وفيما يعكفون عليه من تعليم وتربية، ووصفوها بالخيانة لدين الله، وتضييع الجهود، والجبن⁽⁴⁾، ثم نصبوا رؤوساً جهالاً يقررون لهم المسائل الكبار، ويفتونهم في الدماء والأعراض..

فإذا تزعزعت ثقة الشباب بأهل العلم سقط هذا الحصن المنيع، ولم يبق للشباب حصانة أمام أي فكر أو انحراف يُعرض عليهم؛ لعدم وجود من يرجعون إليه في هذه المدلهمات والخطوب.

أهمية دور العلماء في مكافحة الغلو:

مكافحة الغلو مسألة يشترك فيها المجتمع أفراداً ومؤسسات، لكن تقع على عاتق المختصين بالشريعة من علماء وطلبة مسؤولية أكبر في ذلك، وهم المعنيون بهذا الأمر في المقام الأول لما يلي:

1- أن انحراف الغلاة هو في المغالاة في فهم الشرع وتطبيقه (حسب فهمهم)، كما أنهم يستخدمون المصطلحات الشرعية والشعارات نفسها التي يتعامل بها المسلمون، ويتصدون للفتيا ونشر أفكارهم في المجتمع، مما يؤدي إلى الانخداع بهم واشتباها أمرهم على عامة الناس، مما يجعل التفريق بينهم وبين أهل العلم الصحيح من اختصاص أهل العلم.

2- أن التصدي لشبهة الغلاة الدينية، وكشف خطئها وانحرافها، والرد على أصحابها ونقاشهم إنما يكون على يد أهل العلم المختصين في الشريعة.

3- كما أن إطلاق أوصاف الغلو والخروج، والحكم بالابتداع في الدين، والإخراج من منهج أهل السنة، وما يترتب على ذلك من إباحة القتال وإراقة الدماء وإتلاف الأموال، إنما هي أحكام شرعية في غاية الخطورة والدقة. وهي من اختصاص أهل العلم لا غير.

4- ضبط بوصلة التعامل مع الغلاة⁽⁵⁾ من حيث إطلاق الأحكام أو تصنيف الجماعات، أو أحكام القتال ونحو ذلك من جهتين: أ- عدم الغلو في التعامل مع الغلاة من حيث تكفيرهم أو إطلاق استباحة دماهم وأموالهم، أو المساس بعوائلهم، أو مماثلة ما يمارسونه من وحشية تجاه الأسرى والمعتقلين بمثلها.

ب- التصدي لمحاولة تشويه حملة الدعوة والجماعات الإسلامية بأوصاف الخوارج؛ فإن مما شهده العصر الحالي من انحرافات عن الشرع: محاربة العديد من الحكومات والأنظمة لحملة الدعوة والداعين إلى إقامة الدين في المجتمعات ووصفهم باسم

(4) ينظر: الاستطاعة، للشيخ محمد سرور، ص (11).

(5) ينظر: الاحتساب على الغلو المعاصر تأصيلاً وتنزيلاً، د. محمد يسري.

الخوارج، واستصدار فتاوى مضللة من علما السلطة في ذلك، ومن ثم استباحة دماءهم وأموالهم وأعراضهم بذلك؛ وصولاً إلى محاربة المشروع الإسلامي في المجتمع.

5- ضبط الآثار الناجمة عن مكافحة الغلو؛ وذلك بسبب لتطبيق الخاطئ للدين من جانب الغلاة، وارتكابهم العديد من الجرائم باسم الدين، وتشويه المسميات والأحكام الشرعية، مما يولد عادة ردود أفعال في اتجاه التفلت من الدين، والطعن والاستهزاء بأحكامه وشعائره التي كان يستخدمها الغلاة، مما يوجب على أهل العلم والدعوة تحري العدل والحق، وضبط حركة مكافحة الغلو بالتصدي لحالات التفلت من الدين والطعن فيه، وبيان المعاني الصحيحة للوسطية والاعتدال.

من أمثلة جهود أهل العلم في مكافحة الغلو مبكراً:

تصدى أهل العلم لخطر الغلو مبكراً؛ فبينوا أسباب الوقوع فيه، وكيفية الوقاية منه، وطرق علاجه، ومن أشهر هذه الجهود التي تعتبر مرجعاً لغالب من بحث فيه بعد ذلك:

- 1- كتاب: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية" عرض ونقد، د. عبد الرحمن اللويحق.
- 2- كتاب: مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر: الأسباب - الآثار - العلاج، د. عبد الرحمن اللويحق.
- 3- كتاب: حديث حول الأحداث: ظاهرة الغلو والتكفير.. الأصول، والأسباب، والعلاج، د. ناصر العقل.
- 4- عدد من مؤلفات الشيخ محمد سرور، كالاستطاعة، والتبين والتوقف، والعديد من المقالات في مجلة السنة.. ثم تتابعت المؤلفات والدراسات..

لماذا المؤسسات العلمية؟

كثرت المستجدات والنوازل في عصرنا والتي تحتاج لنظر وتمحيص، وإيجاد حلول في التعامل معها، مع اتساع في العلوم مما لا يحيط به الفرد، وضعف عام في حملة العلم الشرعي عما كان عليه أسلافهم.

مما يستلزم استفراغ الجهد لفهمه هذه المستجدات والنوازل واستيعابها، والحكم عليها، وعدم الاستعجال والتسرع في إبداء الرأي فيها، فكان اللجوء للمؤسسات العلمية التي تجمع المختصين بالشريعة لبحث هذه النوازل، وتأسست في سبيل ذلك المجامع الفقهية، ولجان الفتوى التي أخذت على عاتقها إصدار الفتاوى والدراسات في المسائل المختلفة، ولا شك "أن الإجابات الصادرة عن مراكز بحثية بتضافر جهود مجموعة من الباحثين، وفق منهجية علمية شاملة ومتوازنة، تعتمد على الدليل والتأصيل العلمي أصوب وأسلم وأحكم من تلك التي تصدر عن أفراد من المفتين"⁽⁶⁾.

(6) من مقدمة كتاب فتاوى الثورة السورية، هيئة الشام الإسلامية.

ولهذا العمل سلف من عمل الصحابة رضي الله عنهم؛ حيث دأب الخلفاء الراشدون على جمع أهل العلم من الصحابة واستشارتهم في النوازل التي تقع بهم سياسية كانت، أم قضائية، أم فقهية، ويتشاورون في حلها حتى يصلوا لحكم تطمئن له نفوسهم.

كما أن العمل المؤسسي عموماً أَدعى للقبول؛ حيث إنه يحصل لدى المتلقي نوع اطمئنان أن هذا الحكم الشرعي ليس نابغاً من رأي شخصي، أو شذوذ، أو مخالفة لأهل العلم.

وفي العصر الحالي يضاف إلى ما سبق: شمول المؤسسات العلمانية لكافة المدارس الإسلامية؛ مما يعني قبول منتجاتها من غالب فئات المجتمع المسلم.

دور المؤسسات الشرعية في مكافحة الغلو:

ولما سبق فإن دور المؤسسات الشرعية في مكافحة الغلو يمكن أن يكون في الأمور التالية:

1- التأصيل العلمي:

وذلك بنشر العلم الشرعي المستمد من نصوص القرآن والسنة، كما فهمه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعملوا به، في جميع أبواب الدين العقدية والفكرية والفقهية، وخاصة التي غابت عن التدريس والتعليم في العقود الأخيرة، وكثر فيها الجهل والانحراف، ومن استغلها أثارها الغلاة عن جهل وانحراف، ولبسوا على الناس دينهم فيها، كموضوعات الجهاد، والكفر والردة، ومسائل السياسة الشرعية، وبخاصة موضوعات اختيار الحاكم، والإنكار عليه، والإنكار عليه، وعزله. مع بذل الجهد في تقريب هذه الموضوعات وتسهيلها؛ فإن الغلاة إنما يدخلون من باب الجهل بها وبأحكامها.

2- الاهتمام بالتوعية الفكرية في مسائل حقيقة الجهاد وأحكامه وضوابطه وغاياته الشرعية، وتصحيح المفاهيم الخاطئة حوله، وحول المصطلحات الإسلامية الأخرى، وتعظيم الثوابت، والالتزام بأداب الاختلاف والحوار، وعدم التساهل والتسرع في التكفير والتبديع والتفسيق.

3- الكشف عن حقيقة رموز الغلاة، وبيان جهلهم، وبطلان تلبيساتهم واستدلالاتهم، ومخالفتهم لسبيل أهل العلم، وصولاً إلى إسقاط الاقتداء بهم.

مع الدفاع عن أهل العلم وطريقتهم، ببيان زيف وضلال استشهاد الغلاة بكلام أهل العلم أولئك، وفساد تنزيل كلامهم على غير معناه، أو في غير مناسبتة، وبيان أنه لا سلف لهم فيما يذهبون إليه.

4- القرب من الشباب والانفتاح عليهم وحوارهم، والإجابة عن أسئلتهم واستشكالاتهم، وتخصيص وقت للتباحث معهم، وحل المشكلات التي تواجههم، وصولاً إلى تعليمهم طريقة التفكير السليم، وتصويب المفاهيم بالعلم الصحيح، ورد الشبهات المضللة والأهواء المهلكة.

والاهتمام بتخصيص وقت للجلوس معهم، وعدم الانشغال عنهم؛ فإن هذا البعد والجفاء من أهم أسباب دخول الغلاة بينهم، وتسلمتهم على الشباب، والتقرب إليهم، ومخالطتهم، ومن ثم استمالتهم.

5- التصدي للنوازل السياسية والشرعية بفقده واع يجمع بين نصوص الشريعة ومتغيرات الواقع، ووضع الإجابات والحلول المناسبة لها بما يناسب العصر ولغته، وخاطب الشباب ويقنعهم.

6- إصدار الفتاوى والبحوث والفتاوى في الرد على شبهات الغلاة وتليبساتهم في تفاصيل المسائل التي يثيرونها، وعدم الاكتفاء بالردود العامة، أو مجرد التحذير من خطرهم، وتحليل أسباب الوقوع في الغلو.

فلا بد من التحدث بالتفصيل عن مسائل التكفير وضوابطها، وحالات كون الحكم بغير ما أنزل الله كفرًا أكبر، وتكفير الحكومات والأنظمة وموظفيها، والولاء والبراء، ونحو ذلك⁽⁷⁾.

7- مناقشة الغلاة وحوارهم، وعدم الاكتفاء بإصدار الفتاوى في حقهم أو الإخلال بها؛ فإن كثيرًا ممن يلتحق بهم إنما يلتحق عن تغرير وانخداع، مع جهل بالشرع، وما دام هناك اتفاق على الخضوع للحكم الشرعي فسيكون لهذه النقاشات وقع على العديد من هؤلاء المخدوعين واسترجاعهم للصف الإسلامي، كما حدث مع ابن عباس رضي الله عنه في مناظرته للخوارج ورجوع أكثرهم عن هذه الأفكار⁽⁸⁾.

ويترتب على هذين الأمرين الأخيرين فوائد إضافية تتمثل في وقاية سائر الصف الإسلامي من الانخداع بشبهات الغلاة والالتحاق بصفوفهم، والوعي بحقيقة المعركة معهم وخطورتها.

8- عدم التهاون أو التراخي أو التأخر في مواجهة الغلاة، والمبادرة إلى بيان الحكم الشرعي في أفكارهم وأعمالهم، وما يلزم من التعامل مع تصرفاتهم وجماعاتهم.

وفي الوقت نفسه عدم السماح للمنافقين وأعداء الإسلام في استغلالهم في ذلك؛ فإن من العلماء من يمتنع من مواجهة الغلاة بحجة أنهم إخواننا، وأننا جميع مستهدفون، فلا يجوز الوقوف ضدهم وإلا كنا مع صف العدو ضد المسلمين.

ومنهم من يوظف جهوده -عمدًا أو سداجة- لصالح أعداء الدعوة، ويربر لنفسه أنه طالما كان يقابل الغلاة، فلا بأس أن يحاربهم ولو بالركون إلى الطغاة.

(7) ينظر: شبهات تنظيم الدولة، عماد الدين خيتي، وكشف شبهات الغلاة، لحمود العمري، والانحرافات المعاصرة في مسائل الجهاد، د. راشد الزهراني.

(8) ينظر:

- مقال: مناقشة ابن عباس للخوارج.. دروس وعبر، د. معن عبد القادر.

- مقال: فوائد من مناظرة ابن عباس للخوارج، حسن عبد الحي.

9- الاحتساب على الانحرافات الفكرية -غير الغلو- التي توجد في المجتمع، سواء كانت من جانب الأنظمة والحكومات، أو بعض حملة ودعاة الفكر المنحرف، وعدم الصمت عنها؛ فإن من أسباب اعتناق أفكار الغلو والالتحاق بجماعاتهم ردة الفعل على الانحرافات العقدية والفكرية المنتشرة في المجتمع، وعدم القدرة على إزالتها أو منعها⁽⁹⁾.

من أمثلة مكافحة المؤسسات الرسمية للغلو⁽¹⁰⁾:

نشطت المؤسسات العلمانية في التصدي لفكر الغلو، حماية للمجتمع المسلم منه ومن آثاره، وتحريراً لمعنى الغلو والفرق بينه وبين أحكام الإسلام الصحيحة بعد أن تعمدت العديد من المنظمات العالمية الخلط بين أفكار الغلاة وأحكام الإسلام، وتصنيف عدد من الجماعات والمؤسسات العاملة في الدعوة والتعليم ومقاومة المحتل بالإرهاب، ومن أبرز هذه الجهود:

أولاً: قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي:

1- قرار رقم 128 (14/2) بشأن حقوق الإنسان والعنف الدولي.

2- قرار رقم 154 (17/3) بشأن موقف الإسلام من الغلو والتطرف والإرهاب.

3- قرار رقم 163 (18/1) بشأن معالم العودة إلى المنهج الحضاري في الإسلام.

4- قرار رقم 166 (18/4) بشأن ظاهرة التخويف من الإسلام.

ثانياً: قرارات وتوصيات المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي ومؤتمراته:

1- بيان مكة المكرمة الصادر عن المجمع في دورته السادسة عشرة التي عقدت في الفترة 21-27/10/1422 هـ الموافق ل 5-10/1/2002 م.

2- البيان الختامي الصادر عن المؤتمر الإسلامي العالمي «الإسلام ومحاربة الإرهاب» في مكة المكرمة في الفترة من 3-6/5/1436 هـ التي يوافقها 22-25/2/2015 م.

ثالثاً: جهود رابطة العالم الإسلامي:

1- عقد لقاءات تنسيقية مع الجهات المتخصصة في الأمة الإسلامية، لوضع خطط عملية لتصدي للفكر المنحرف.

2- تكوين وفود من العلماء والمتخصصين لزيارة البلدان المتضررة من الإرهاب، ومقابلة مسؤوليها، وشرح الرؤية الإسلامية حول علاج هذه الظاهرة.

(9) من أعظم معوقات مكافحة الغلو تلك الدعوات التي تخرج ردًا على الغلو وتحمل في طياتها مقادير متفاوتة من التراجع عن بعض أحكام الدين، أو تفريغها من محتواها، أو الطعن في ثوابته؛ تأثرًا بضغوط الواقع المعاصر، أو بالننتاج الفكري التغريبي، والواجب تجاه هذه الدعوات مكافحتها والتصدي لها دينًا، ثم حماية للشباب من أن تستفزهم هذه الدعوات لمزيد من الغلو، أو تنتشلهم من انحراف الغلو إلى انحراف قد يكون أشد خطرًا.

(10) ينظر: دور المجمع العلمية والثقافية في التصدي للتطرف.. دراسة فقهية تحليلية، أ.د علي قرة داغي.

3- التعاون مع الجامعات الإسلامية ومراكز الأبحاث من أجل ضبط المفاهيم الملتبسة، وتوفير مادة علمية رصينة تكون بين أيدي الخطباء والدعاة والمعنيين بالشباب.

4- إنشاء هيئة عالمية لمكافحة الإرهاب تابعة لرابطة العالم الإسلامي، تتولى دراسة الإرهاب، وتحليل دوافعه وأسبابه، ونشر الدراسات البحثية حوله، واقتراح البرامج العملية التي تسهم في الوقاية منه، وتنفيذها، والتنسيق في ذلك مع المؤسسات المختصة.

5- أصدر المؤتمر «بلاغ مكة المكرمة»، الذي اشتمل على خمس رسائل وجهها إلى كل من قادة الأمة المسلمة وعلمائها وإعلامها وشبابها، وإلى العالم أجمع، وذلك أداء لواجب النصح للأمة وللإنسانية، وأملًا في إخراج العالم من الواقع المرير. وتتمثل ثمرة جهود هذه المؤتمرات والقرارات في الجانب الرسمي الدولي، كما أن لها تأثيرًا على شريحة من المجتمع التي تستمع لخطاب المؤسسات شبه الرسمية.

المؤسسات العلمية في الثورة السورية نموذجًا:

تصدى لبيان الأحكام الشرعية في نوازل الثورة السورية عدد من الجهات العلمية، وكان لفتاواها وبياناتها أثر ومصداقية، نظرًا لما عرفت به من استقلالية، واعتدال، واحتضانها للثورة والعمل على ترسيدها، وإرشادها بالفتاوى والمواد العلمية المتنوعة، ثم نشأ بينها تنسيق للعمل المشترك توج بمجلس للتنسيق بينها، وهي: هيئة الشام الإسلامية، ورابطة العلماء السوريين، ورابطة علماء الشام، والهيئة العامة للعلماء المسلمين في سورية، وجمعة علماء حلب، والملتقى الإسلامي السوري، ورابطة خطباء الشام.

فكان من باكورة فتاواها: "هل القتال القائم بين الكتائب المجاهدة وتنظيم (الدولة) قتال فتنة؟" والتي صدرت بتاريخ: الأحد 16 ربيع الآخر 1435هـ، الموافق 2014/2/16م، وقد مثلت حينها علامة مفصلية في التعامل مع جماعات الغلاة، من حيث المفصلة الفكرية، والكشف عن خطورة مشروعها، وأنه ضمن الصف المعادي للثورة، وبيان الحكم الشرعي للتعامل معها.

نشأة المجلس الإسلامي السوري:

وبتضافر الجهود تأسس المجلس الإسلامي السوري من غالب المؤسسات الشرعية في سوريا، ومثل مختلف مدارسها الفكرية، وكان من أهم مميزات هذا المجلس: استقلال قراره وعدم خضوعه أو ارتبائه لمؤسسة سياسية، أو دولية ونحو ذلك.

فكان من أهم ما عمل عليه المجلس الإسلامي في التعامل مع الغلاة:

1- الوعي التام بفكر الغلاة ومشاريعهم، وخطورة ذلك على المجتمع السوري خصوصًا والإسلامي عمومًا: شرعيًا، واجتماعيًا، ومستقبل البلاد، ووضوح الرؤية في الموقف منها، ومن ذلك: الورشة التي عقدها مركز الدراسات في المجلس بعنوان (مناهضة الغلو)، والتي أقرت عدة توصيات لمكافحة فكر الغلو، ومثلت اتفاق المجلس على الوعي بهذا الخطر وضرورة مكافحته.

2- المفاصلة التامة مع هذه المشاريع، مع الحكمة والتدرج في التعامل معها.

3- إصدار الفتاوى والبيانات في أحكام التعامل مع هذه الجماعات، وما ينتج عنها من مستجدات.

4- عقد الندوات العلمية، واللقاءات مع مختلف قوى الثورة، والتوعية بخطر هذه الجماعات وحقيقتها.

وقد بلغت مجموع فتاواه في مختلف المسائل المتعلقة بجماعات الغلو (7 فتاوى من أصل (41) فتوى، شملت أحكام التعامل مع هذه الجماعات وأثارها، كما أصدر حوالي (30) بياناً من أصل (170) بياناً في التعليق على تصرفات الغلاة وما يتعلق بها من أحداث الثورة.

وقد لقيت هذه الفتاوى والبيانات القبول من مختلف قوى الثورة، بصفتها الجامعة لمختلف المؤسسات العلمية السورية ومشايخها، والمؤتمنة على تمثيل الثورة شرعياً.

ومن ذلك:

1- كانت أولى فتاواه (فتوى حول تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام)، وبيان (حول بطلان إعلان الخلافة من قبل تنظيم دولة العراق والشام) والتي نزع الشرعية عن التنظيم، ووصفته بالخروج، وأفتى بقتالهم لردع عدوانهم، وقد كان لها صدى كبير في الإعلام الداخلي والخارجي.

2- كما كانت فتوى (فتوى أحكام الزواج من مجهول الاسم والنسب) في التحذير من تزويج مجهولي الاسم والنسب وخطر ذلك على المكون الاجتماعي، وغالب هؤلاء من الغلاة.

3- وفي سبيل ضبط بوصلة التعامل مع الغلاة، وضمنان عدم انحراف التعامل معهم إلى الاعتداء المحرم صدرت فتاوى (حول عصمة أموال وأنفس أهالي مقاتلي تنظيم الدولة)، و(فتوى التعامل مع الخوارج الفارين من أرض المعارك)، و(حكم القتال بين تنظيم الدولة والمليشيات الكردية).

4- كما صدر في باب السياسة الشرعية فتوى (فتوى حول حكم التنسيق مع الحكومة التركية في القضاء على تنظيم "داعش")، وبيان (بشأن القتال مع القوات التركية في عملية درع الفرات).

5- وفي التصدي لفكر القاعدة وتصرفاتها بمسمياتها المختلفة صدرت عدة فتاوى متدرجة في بيان أحكام تصرفاتها، كفتوى (التغلب بين الفصائل)، وبيان (بشأن ممارسات بعض الفصائل عقب مؤتمر الرياض)، وبيان (بيان بشأن جرائم الغلاة وعدوانهم على المجاهدين)، إلى أن صدر أخيراً بيان (بيان حول وجوب قتال بغاة الجولاني والدعوة إلى استعادة أصالة الثورة).

6- وفي تأييد المشاريع الثورية والمعتدلة صدرت بيانات (بيان ميثاق الشرف للفصائل المقاتلة)، و(بيان مباركة وتأييد إعلان ميثاق "مجلس قيادة الثورة السورية").

7- وفي جانب ترشيد الثورة وحركة مكافحة الغلو صدر بيان (بشأن ما تم نشره في مجلة "طلعنا عالحرية").

وقد كان لاجتماع المؤسسات الشرعية في المجلس أبلغ الأثر في عدم خروج أحد من أهل العلم الموثوقين بما يخالف المجلس في موقفه من الغلاة، مما أفقد الغلاة أي دعم شرعي من مرجع علمي معروف.

ويلحظ: في الحالة السورية أثر اجتماع كلمة المؤسسة الدينية على الموقف من الغلاة، وعدم الاستفادة الغلاة من وجود بعض المؤيدين لهم أو الصامتين عن الغلاة، في شق صف المؤسسة أو غموض أو ضعف موقفها، كما حصل في أماكن أخرى من بلاد العالم الإسلامي.

الأثر العكسي للمؤسسات التابعة للأنظمة على الغلو والغلاة:

صادرت الدولة الحديثة استقلال المؤسسات المجتمعية عمومًا وعلى الخصوص المؤسسة الدينية، فعملت على ضمها تحت جناحها وتولية من يوافقها في مناصب تلك المؤسسات، ومن جهتها لم تدخر تلك المؤسسات الرسمية جهدًا في مساندة تلك الأنظمة والوقوف إلى جانبها.

وقد كان لموقف العديد من المؤسسات الدينية الرسمية مواقف أسهمت في استفزاز الغلو والغلاة، ومن ذلك:

- 1- الوقوف إلى جانب الأنظمة الاستبدادية، وإضفاء المشروعية عليها، والحكم بصحة طريقة تولي الحكم فيها، وتصحيح تصرفاتها، وأضاف طابعًا من القداسة على الحكام وقراراتهم، وجعلت من يخالفهم عاصيًا خارجًا عن جماعة المسلمين، يستباح دمه وماله لمجرد معارضته لهذه الأنظمة أو عدم موافقتها في كل ما تذهب إليه، كما في وقوف المؤسسة الدينية التابعة للنظام السوري مع النظام في تصنيفه لمختلف التيارات والجماعات الإسلامية المعارضة له بالإرهاب، ووصفهم بالخوارج، وتبرير ملاحقتهم وتصفيتهم⁽¹¹⁾.
- 2- عمدت العديد من تلك المؤسسات إلى موافقة بعض الأنظمة على ما اقترفته من مخالفات صريحة للشريعة ومعاداة لها ولحملتها، وتطويع أحكام الدين لرغباتها، ضاربة عرض الحائط بأحكام الشريعة الإسلامية ومعلنة العداء معها. كما تنكرت لقضايا المسلمين عمومًا، ولم تنظر لها بعين الأخوة الإسلامية، وإنما من خلال عين السلطة الحاكمة.
- 3- السكوت عن مشاريع الغلاة التي فتعلها الأنظمة للإيقاع بالشباب المتدين، كما حصل من المؤسسة الدينية التابعة للنظام السوري في السكوت عن فتنة أبي القعقاع أيام الحرب على العراق، فكان أن انضم آلاف الشباب لهذه الجماعات بتحرير أبي القعقاع، وجهل منهم بهذه الجماعات ومشاريعها. وكما ثبت من تورط الأنظمة في كل من مصر والجزائر والعراق بهذه الأمور من قبل.
- 4- الوقوف إلى جانب المحتل الأجنبي وتبرير تدخله، ونفي جرائمه، وخلع ألقاب البطولة عليه، كما حدث من المؤسسة الدينية التابعة للنظام السوري في الموقف من الميليشيات الشيعية والقوات الروسية. لا شك أن الفتنة بهذه المؤسسات ومواقفها المتخاذلة، وعمالتها للأنظمة الحاكمة من أكبر الفتن التي تدفع الشباب باعتراف أفكار الغلو والتكفير.

(11) ينظر: الجهاد في الإسلام للبوذي، والذي هاجم في الجماعات الإسلامية عمومًا، واحتفى به النظام، وعمل على طبعه وتوزيعه، بالإضافة لموقف البوذي من الثورة السورية التي لا تخفى على متابع.

وقد أدت هذه التصرفات بكثير من الشباب إلى:

- 1- البعد عن أحكام الدين الصحيح، والجهل به، مما جعلهم عرضة لأن تتخطفهم شهات الغلاة حينما ظهرت وانتشرت لضعف تأصيلهم العلمي والشرعي.
 - 2- ردود الفعل الناقمة من بعض الشباب على موقف هؤلاء المشايخ مما يؤدي إلى اعتناق فكر الغلو والتكفير. وبالوقوف على أدبيات هذه الجماعات يظهر أثر ذلك في كثرة التخوين والتكفير لهذه المؤسسات والقائمين عليها، بل تخصيص جز كبير من هذه الأدبيات مؤلفات أو كلمات مسموعة أو مرئية في هذه المؤسسات والقائمين عليها، وتحميلهم مسؤولية تثبيت دعائم أركان الحكومات الاستبدادية⁽¹²⁾.
- فقد كانت هذه المواقف من المؤسسات الدينية الرسمية إلى زيادة فتنة جماعات الغلاة؛ فقد عمموا حكم الخيانة والردة على كل من تعامل مع هذه الحكومات والأنظمة واعتبروا موقفه مؤيداً وداعماً لحكم الطاغوت حتى وإن لم يكن من المؤيدين لها أو العاملين معها.
- كما عمموا هذه الأحكام على كل من لم يوافقهم من حملة العلم الشرعي، فاستهدفهم بالإسقاط والتصفية، فكانوا بذلك سبباً في زيادة فتنة الغلاة بذلك.

رؤية لتفعيل وتعزيز المرجعية الشرعية في مكافحة الغلو:

من خلال ما سبق يمكن التوصية بعدة أمور لتفعيل وتعزيز دور المرجعيات الشرعية في مكافحة الغلو:

- 1- استقلال المرجعية في القرار، وعدم صدورها عن مصالح أو تأثيرات سياسية.
 - 2- شمولها أطراف المدارس الإسلامية لضمان القبول من كافة شرائح المجتمع.
 - 3- الحرص على إبراز القدوات الصالحة من أهل العلم، للقيام بالنصح وبيان أحكام الدين.
 - 4- بذل الجهد في نشر العلم الصحيح، وتقريبه لعامة الناس، وتحقيق الأمن الفكري للمجتمع من الوقوع في الشبهات.
 - 5- حرص العلماء وطلبة العلم على الحضور الميداني، وأن يكونوا قريبين من الشباب.
- والحمد لله رب العالمين.

(12) ينظر: تصور الغلاة للدولة في الإسلام، للاطلاع على موقف الغلاة من أهل العلم عموماً، والمؤلفات في ذلك.